المحاضرة الخامسة: الموضوعات والمبادئ

1-موضوع السيميولوجيا

إن السيميائيات – كما أشرنا فيما سبق – عبارة عن عملية تفكيك لعناصر المعنى ومعرفة تمفصلاتها لاعادة تركيبها، وتحديد البنيات العميقة المتوارية وراء البنيات السطحية المتجلية في مستويات مخلفة صوتية وصرفية وتركيبة.

ومن ثم، فإنها تشتغل على استكناه بواعث النصوص وتكوناتها البنيوية الداخلية، متقفية أسباب تعدد ولانهائية الخطابات والنصوص والبرامج السردية،

ومن ثم، فالسيميولوجيا" لا يهمها ما يقول النص، ولا من قاله، بل ما يهمها هو كيف قال النص ماقاله. أي: إن السيميولوجيا لايهمها المضمون ولا حياة المبدع أو سيرته، بقدر ما يهمها شكل المضمون، كما يظهر ذلك جليا في هذه الخطاطة[1]

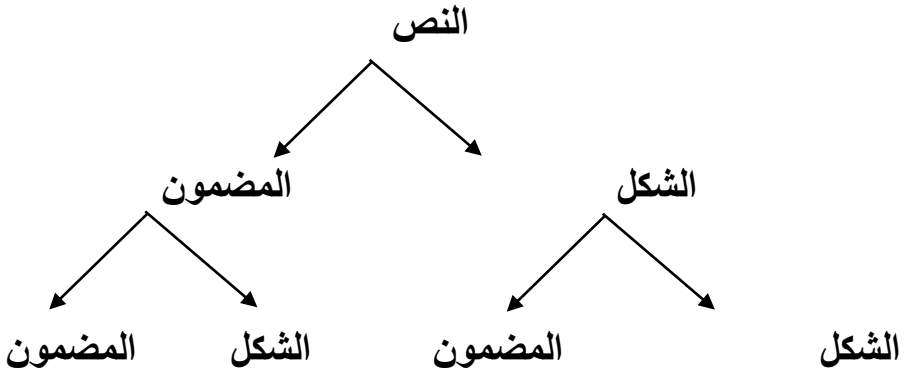

2-مبادئ السيميولوجيا

تتخذ السيميولوجيا باعتبارها منهجا يتكئ لعلم قائم بذاته، على جمل من المبادئ أو لنسميها اسسا للتحليل، حددتها جماعة أنتروفيرن Groupe D'Entrevernes – في ثلاثة مبادئ ضرورية هي[2]:

2-1- التحليل المحايث (مبدأ المحايثة):

يعد مفهوم " المحايثة " من المفاهيم التي أشاعتها البنيوية في بداية الستينات، واستنادا إليه يفهم النص وتنجز قراءاته، وأصبح "التحليل المحايث" وحده الذي يجيب عن كل الأسئلة ويدرك كل المعاني. [3]

وترتبط المحايثة ايضا – كما عبر عن ذلك – لالاند في قاموسه، "مرتبطة بنشاطين: نشاط يحيل على كل ما هو موجود بشكل ثابت وقار في كائن ما، وآخر يحيل على ما يصدر عن كائن ما معبرا عن طبيعته الأصلية، وفي الحالتين معا نكون أمام مضامين سابقة ومعطاة مع الطبيعة ذاتها "[4]

تتبنى السيميولوجيا مبدأ المحايثة في اشتغالها على النصوص، والمقصود بالمحايثة هو الابتعاد عن العناصر الخارجة عن النص وتركز على الشروط الداخلية المولدة للدلالة التي تبحث عنها.

ينتهج التحليل المحايث (**Immanente**) "الاستقراء الداخلي للوظائف النصية التي تساهم في توليد الدلالة. ولا يهمها العلاقات الخارجية، ولا الحيثيات السوسيو- تاريخية والاقتصادية التي أفرزت عمل المبدع." [5]

والمحايثة بهذا المعنى هي مصطلح يدل على الاهتمام بالشيء ذاته وفي ذاته، فالنظرة المحايثة هي النظرة التي تفسر الأشياء في ذاتها، ومن حيث هي موضوعات تحكمها قوانين تتبع من داخلها وليس من خارجها[6].

إن إبعاد الموضوعات الخارجة عن النص يسمح حسب النظرية السيميائية برصد العلاقات التشاكلية أو التضادية الموجودة بين العناصر داخل العمل الفني[7].

2-2- التحليل البنيوي :

إن البنيوية نظرية لسانية تعتبر اللغة نظاما مستقلا ومهيكلا بعلاقاتها المحددة والمعرفة للمصطلحات على اختلاف المستويات (الفونيمات، المورفيمات الجمل) وهي كذلك تعتمد على التشابه والاختلاف، التقابل والاستبدال[8]

تتضمن السيموطيقا في طياتها المنهج البنيوي القائم على مجموعة من المفاهيم الاصطلاحية التي يعتمد عليها تفكيكا وتركيبا، مثل البنية ،النسق، الشبكة، الداخل، النص اللسانيات، الدال والمدلول...[9]

ومن ثم، فلا يمكن استيعاب السيميوطيقا البنيوية إلا من بوجود الاختلاف، لأن فرديناند دوسوسير وهلمسليف يقران أن المعنى لا يستخلص إلا عبر الاختلاف، وبالاختلاف وحده. ومن هنا، كان الاختلاف سببا من أسباب تطور الدراسات البنيوية واللسانية والتفكيكية.

وهكذا، فعندما تقتحم السيميوطيقا أغوار النص، فإنها تدخل من نافذة العلاقات الداخلية المثبتة القائمة على الاختلاف بين البنيات والدوال. ومن ثم، فالتحليل البنيوي هو الوحيد الذي له القدرة على الكشف عن شكل المضمون، وتحديد الاختلافات على مستوى العلاقات الموجودة بين العناصر الداخلية للنسق في علاقته مع النظام البنيوي.

إن البنيوية في جوهرها تركز على أدبية الأدب وليس على وظيفة الأدب أو معنى الأدب فتهتم بتحديد الخصائص التي تجعل الأدب أدبا.[10] كما يهدف التحليل البنيوي إلى استنباط البنية أو البنيات الخاصة بالنص أو الخطاب المعتبر لذاته كمجموعة وكنظام.[11]

تتضمن السيميوطيقا في طياتها المنهج البنيوي القائم على مجموعة من المفاهيم الاصطلاحية التي يعتمد عليها تفكيكا وتركيبا، مثل: النسقية، والبنية، وشبكة العلاقات، والسانكرونية، والوصف المحايث.

2-3-تحليل الخطاب:

تفترق السيميوطيقا النصية عن لسانيات الجملة أيما افتراق؛ لأن هذه الأخيرة تركز كثيرا على الجمل في تشكلاتها البنيوية أو التوزيعية أو التوليدية أو التداولية، فتريد فهم كيفية توليد الجمل اللامتناهية العدد، من خلال قواعد متناهية العدد، أو كيفية توزيع الجمل حسب مكوناتها الفعلية أو الاسمية أو الحرفية أو الظرفية، مع تحديد وظائفها التداولية. بيد أن السيميوطيقا تحاول البحث عن كيفية توليد النصوص، ورصد اختلافها سطحا، واتفاقها عمقا.

---

[1] – جميل الحمداوي: الاتجاهات السيميولوجية (التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية)، دار الألوكة، ط1، 2015، ص 12.

2- Isambert François-André. Groupe d'Entrevernes Analyse sémiotique des textes. Introduction, théorie, pratique. In: Archives de sciences sociales des religions, n°48/2, 1979. p. 291;

3 – سعيد بنكراد: "مفاهيم في السيميائيات"، مجلة علامات، العدد17، المغرب، 2002، ص 85.

4 – André Lalande: Vocabulaire technique et critique de la philosophie, article Immanence

5 – جميل الحمداوي: الاتجاهات السيميوطيقية ، (مرجع سابق)، ص 13.

6 – يوسف وغليسي: اشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ط1، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، 2008، ص134.

[7] – جميل حمداوي: الاتجاهات السيموطيقية، (مرجع سابق)، ص12.

[8] – سليمة يحياوي: مقاربة سيميائية لديوان السنبلة، ص56.

[9] – جميل حمداوي: نظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة، مكتبة المثقف،ص10

[10] – عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة-من البنيوية إلى التفكيك- عالم لمعرفة،الكويت،1998،ص159

[11] – رشيد بن مالك: قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص -عربي-انجليزي-فرنسي، دار الحكمة، الجزائر، 2000، ص 197.